

## المقال الثاني عشر

### دولة الإسلام دولة مدنية

للإسلام دولة أو ما يسمى بالنظام السياسي الإسلامي وهو نظام فريد من نوعه وقد قامت دولة الإسلام في عهدها الأول وبسطت كل ما يحتاج إليه الإنسان من حرية وعدل وإخاء في ذلك الزمان حالك الظلام والظلم ولا بد أن يعود النظام السياسي في هذا العهد وفي هذا الزمان. الآن العالم في أمس الحاجة إلى محمد ﷺ ليحل مشاكله بذلك المنهج الرباني الخالد الذي لا يزيده الزمن ومضى العهد إلا توهجاً والذي لا يزيده مضي القرون إلا أن يكون شاهداً على أنه النظام الذي لا يمكن أن تحل مشاكل العالم إلا من خلاله. والآن وقد عادت البشرية إلى التخلف والتقهقر وبعدت كل البعد عن المعاني الإنسانية نحن الآن في عهد الحيوانية والغابية وصراع الحق الذي يعبر عنه بصراع الحضارات أي صراع حضارات الباطل مع حضارات الحق. حضارات الدين الإسلامي واللادين (العلمانية) والمعركة لا شك منصور فيها الدين الإسلامي بنظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي.. الخ الذي لا يقبل التجزئة. فالأخذ بالإسلام وعقيدته هو المخرج للدولة الحديثة من كل ركاب الجاهلية الحديثة التي هي أكثر ظلاماً من الجاهلية الأولى التي لا تمتلك من العلوم وأسلحة الدمار الشامل والفساد الأخلاقي كالجاهلية الحالية.

فلا بد من قيام دولة إسلامية مدنية تلاءم هذا العصر بالطرح المدني الإسلامي ولا بد من أن يطرح المسلمون فهم أن دولة الإسلام دولة مدنية. إن الذين يرمون دعاة الإسلام بأنهم يدعون إلى إقامة دولة دينية يقولون على دعاة الإسلام غير الحق. إن دعاة الإسلام لا أدعياء الإسلام يدعون دوماً إلى إقامة دولة إسلامية ولم يدعوا يوماً إلى إقامة دولة دينية وهناك فرق كبير بين الدولة الدينية والدولة

الإسلامية وقد قصد معارضو الإسلام تشويه الدولة الإسلامية بأن حاولوا أن يربطوا الدولة الإسلامية بالدولة الدينية التي سامت الناس الخسف والظلم والاضطهاد. تلك الدولة والنمو السياسي الذي ساد أوروبا النصرانية في القرون الوسطى. تلك الدولة أعطت أسوأ أنواع التطبيق إذ ادعى الحكام أنهم يحكمون بالحق الإلهي واضطهدت العلماء والمفكرين وشنقت وأعدمت ونفت وانبعثت منها رائحة الكراهية رائحة شواء البشر وأعطت صورة ذهنية سيئة (كما يقول الإعلاميون). لكل دولة تقوم تحكم باسم الدين مع أن الدين الإسلامي برئ من أفعالهم ذلك لأن حكام ذلك العصر المقصود العصور الوسطى في أوروبا النصرانية لا صلة لهم بالدين إلا اسمه. أما الإسلام دين الرحمن والرحمة يفر إليه الناس ولا يفرون منه.

والعلة أن هناك خلطاً بين ما هو إسلامي وما هو ديني حتى ظن كثيرون أن كل ما هو إسلامي يكون دينياً والإسلام أكبر وأوسع من كلمة دين حتى أن علماء الأصول جعلوا (الدين) إحدى الضروريات الخمس أو الست التي جاءت الشريعة لحفظها وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال وزاد بعضهم العرض فالدولة الإسلامية التي يدعو لها دعاة الإسلام في العصر الحديث. الذين أطلق عليهم أعداء الإسلام الجماعات الإسلامية السياسية أو الإسلام السياسي تكريهاً للجماهير في من يدعون أن يحكم الإسلام حياة الجماهير لاسيما الإسلامية. هؤلاء الدعاة يدعون إلى دولة مدنية لم تقم حتى الآن بالمفهوم الصحيح إلا في الثلاثين سنة من رسالة محمد ﷺ وهي دولة تقوم على أساس الاختيار الحر والبيعة والشورى ومسئولية الحاكم أمام الأمة وحق كل فرد من الأمة أن يتولى النصح والملاحظة على الحاكم وأن ينصح له وأن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر بل جعله واجب كفائي في الإسلام ويمكن أن يتحول إلى فرض عين وفي الحديث سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام ظالم فنصحه فقتله أي أن سيد الشهداء حمزة ﷺ في الجنة وناصح الإمام الظالم معه في نفس المرتبة أو كما جاء في الحديث. فالحاكم في الإسلام مقيد ليس حاكماً مطلقاً يحكم بالحق الإلهي. هناك شريعة تحكمه وقيم توجه الحاكم وأحكام تقيده وهذه لا يصنعها

حزب حاكم أو جماعة حزبية بل وضع هذه الأحكام (رب الناس، ملك الناس) وليس هناك سلطة يمكن أن تلقي أو تجمد هذه الأحكام. ويمكن لأي مسلم أو مسلمة أن يخالف الحاكم والتاريخ حافل بأمثلة كثيرة إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والحاكم المسلم إماماً كان أو خليفته ليس وكيلاً بل وكيل الأمة وهي التي تختاره وتراقبه وهي التي تعزله وتتقدمه. بهذه المفاهيم على وجه الاختصار يمكننا أن نفهم أن دولة الإسلام دولة مدنية وليست دولة دينية لذا لا بد أن ننتبه لهذه المفاهيم، بل يجب على دعاة الإسلام أن يردوا هجمة من يقولون أن دولة الإسلام دولة دينية ويحاولوا أن يحرّموا الشعوب الإسلامية وغيرها من أن يظلمهم الحكم الإسلامي ويطبق عليهم الإسلام نظامه السياسي بالفهم المتقدم أقام الإسلام دولة ذات حضارة سامقة وشاهقة وشاهدة في كل مجالات الحياة. ولذلك الذين ينادون بالحل الإسلامي بديلاً للحلول المستوردة وينادون بقيام دولة الإسلام إنما يدعون إلى إقامة دولة مدنية ودولة مؤسسات ودولة ليست غامضة المعالم وإنما يمكن لقارئ أن يتعرف عليها من خلال القرآن والسنة والتطبيق العملي لعصور الإسلام الأولى التي قال عنها رسول الله ﷺ خير القرون. وهي دولة مثالية واقعية قابلة للتطبيق وكتب لها العلماء المعاصرون شروحات توضح مواصفات هذه الدولة وشروطها فعندما يحاول الناس أن يقيموا دولة باسم الإسلام تعرض ممارسات هذه الدولة على الأصول ومواصفات الدولة الإسلامية فيؤيدها أو ينكروها بمقاييس حتى يحصلوا على الدولة ذات المواصفات الإسلامية وعندها ستكون دولة الإسلام دولة مدنية يمكن للقارئ أن يراجع في هذا الفهم كتابات الدكتور يوسف القرضاوي في العصر الحديث لاسيما كتابه (بينات الحل الإسلامي.. والحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا وكتابات الشهيد سيد قطب وكتاب الدكتور كامل الدقس بعنوان الدولة الإسلامية). وعلى الله قصد السبيل.